التفكير النقدي



العدد الحادي عشر: حين يكون الاستدلال «صحيح الصورة» لكنه «كاذب النتيجة»

من أدق المباحث المنطقية وأكثرها تطبيقاً، التمييز بين «الصلاحية الصورية» (Validity) و«الصدق المطابق للواقع» (Truth). فقد يكون الاستدلال مستوفياً لشروط الصلاحية الصورية من حيث التركيب – بمعنى أنه لو صدقت مقدماته للزمت نتيجته حتماً – ومع ذلك تكون مقدماته في ذاتها غير صادقة، مما يفضي بالاستدلال إلى نتيجة باطلة وخاطئة واقعاً.

مثال ذلك: «كل الطيور تطير، النعامة طائر، إذن النعامة تطير». بناء هذا الاستدلال من الوجهة الصورية سليم تماماً ولا غبار عليه من حيث قواعد القياس، بيد أنه لما كانت المقدمة الأولى (كل الطيور تطير) كاذبة، خرجت النتيجة بالضرورة كاذبة ومخالفة للواقع.

هذا التمييز بالغ الأثر؛ لأن كثيراً من المغالطات في الدعاية والسياسة والإعلام وشبكات التواصل تبدو محكمة النسق وخلابة المظهر – أي إن النتيجة تلزم عن المقدمات من الناحية الصورية – في حين يكمن الخلل في كذب المقدمات أو عدم دقتها، لا في كيفية الانتقال إلى النتيجة.

في منهج الاجتهاد الفقهي لدى الشيعة، يُراعى هذا الفصل بمنتهى العناية: فالمجتهد حين يستنبط حكماً، مطالب بإحكام صورة القياس (الصغرى والكبرى والنتيجة)، ولكن الأهم من ذلك هو التثبت من استقاء كل مقدمة بمفردها من منبع معتبر (آية قرآنية، أو رواية صحيحة السند، أو حكم عقلي قطعي). فالاستدلال الفقهي المتماسك صورياً يغدو ساقط الاعتبار إذا ابتنى على رواية ضعيفة السند، مهما بدا القياس المنطقي صورياً في غاية الدقة. وهذا يذكرنا بأن فحص الصورة وحده لا يكفي؛ بل لا بد من تمحيص صدق مادة المقدمات أيضاً.

تمرين هذا العدد: حين تسمع في المرة القادمة استدلالاً يبدو «مقنعاً»، لا تقف عند مدى ترابط النتيجة، بل افحص كل مقدمة على حدة: هل هي صادقة ومسلّمة في واقعها؟

الخلاصة: سلامة بنية الاستدلال لا تضمن صدق نتيجته؛ إذ يجب الجمع بين فحص صحة الصورة وصدق مادة المقدمات.

ومضات



* إنَّ إمامة أهل البيت والإمام عليّ تُعبِّر عن مرجعيّتين: إحداهما المرجعيّة الفكريّة، والأخرى المرجعيّة في العمل القياديّ والاجتماعيّ. وكلتا المرجعيّتين كانتا تتمثّلان في شخص النبيّ ﷺ، وكان لا بدّ أنْ يصمّم الرسول الأعظم ﷺ الامتداد الصالح له لتحمّل كلتا المرجعيّتين، لكي تقوم المرجعيّة الفكريّة بملء الفراغات الّتي قد تواجهها ذهنيّة المسلمين، وتقديم المفهوم المناسب ووجهة النظر الإسلاميّة فيما يستجدّ من قضايا الفكر والحياة، وتفسير ما يشْكل ويغمض من معطيات الكتاب الكريم، الّذي يشكّل المصدر الأوّل للمرجعيّة الفكريّة في الإسلام، ولكي تقوم المرجعيّة القياديّة الاجتماعيّة بمواصلة المسيرة، وقيادة المسيرة الإسلاميّة في خطّها الاجتماعيّ.

نشأة التشيّع والشيعة ص:٣٨-٤٨

* لَئِن كانت المرجعيّة القياديّة الاجتماعيّة لكلّ إمام تعني ممارسته للسلطة خلال حياته، فإنَّ المرجعيّة الفكريّة حقيقة ثابتة مطلقة لا تتقيّد بزمان حياة الإمام. ومن هنا كان لها مدلولها العمليّ الحيّ في كلّ وقت. فما دام المسلمون بحاجةٍ الى فهم محدّد للإسلام، وتعرّف إلى أحكامه وحلاله وحرامه ومفاهيمه وقيمه، فهم بحاجة إلى المرجعيّة الفكريّة المحدّدة ربّانيّاً المتمثّلة أوّلاً: في كتاب الله تعالى، وثانياً: في سنّة رسوله ﷺ والعترة المعصومة من أهل البيت الّتي لا تفترق ولن تفترق عن الكتاب كما نصَّ الرسول الأعظم ﷺ.

نفس المصدر

* الإحساس بجدارة الشخص لممارسة السلطة والتطبيق، لا يعني بحالٍ الشعور بإمكانيّة نصبه إماماً فكريّاً، ومرجعاً أعلى بعد القرآن والسنّة النبويّة لفهم النظريّة، لأنَّ هذه الإمامة الفكريّة تتطلّب درجةً عاليةً من الثقافة، والإحاطة واستيعاب النظريّة. وكان من الواضح أنَّ هذا لم يكن متوفّراً في أيّ صحابيّ بمفرده إذا قُطِع النظر عن أهل البيت ﷺ.

نفس المصدر ، ص: ٨٤

* الحقيقة أنَّ "التشيّع" لم يكن في يوم من الأيّام منذ ولادته مجرّد اتّجاه روحيّ بحت، وإنّما وُلد التشيّع في أحضان الإسلام بوصفه أطروحة مواصلة الإمام عليّ ﷺ للقيادة بعد النبيّ فكريّاً واجتماعيّاً وسياسيّاً على السواء.

نفس المصدر ، ص: ٩٢

* التشيّع لا يمكن أن يتجزّأ إلّا إذا فقد معناه كأطروحة لحماية مستقبل الدعوة بعد النبيّ ﷺ. وهو مستقبل بحاجةٍ إلى المرجعيّة الفكريّة والزعامة السياسيّة للتجربة الإسلاميّة معاً.

نفس المصدر ، ص: ٩٢

أسئلة وردود

ما هوَ السرُّ المُستودَعُ عندَ سيّدتِنا فاطمة الزهراءِ عليها السلام؟

السؤال:

ما هوَ السرُّ المُستودَعُ عندَ سيّدتِنا فاطمةَ الزهراءِ ؟

الجواب:

هناكَ اختلافٌ بينَ العلماءِ في السرِّ المُستودعِ في سيّدتِنا ومولاتِنا فاطمةَ الزهراءِ .

القولُ الأوّل: أنّهُ سرٌّ، والسرُّ لا يمكنُ معرفتُه، فلو علِمنا ما هوَ حقيقةُ ذلكَ السرِّ، خرجَ عَن كونِه سرّاً. وهذا القولُ اختارَه المرحومُ السيّدُ جعفر مُرتضى العاملي في (مُختصرٌ مفيد): ١ / ١٢٥.

ولكن يُردُّ على هذا القولِ: أنّ الإشارةَ الإجماليّةَ إليهِ لا يخرجُه عن كونِه سرّاً؛ نعم، معرفةُ تفاصيلِه يخرجُه عن كونِه سرّاً.

القولُ الثاني: أنّهُ صاحبُ العصرِ والزمان، مهديُّ آلِ محمّدٍ ، والسيّدةُ الزهراءُ جدّتُه، حيثُ وردَ في الحديثِ عن النبي ﷺ أنّهُ قال: المهديُّ مِن عترتي مِن ولدِ فاطمة. ويتميّزُ الإمامُ المهديّ عن بقيّةِ الأئمّةِ بكونِه سرّاً خفيّاً، وذلكَ لغيبتِه عنّا.

ولكن يُردُّ على هذا القولِ: أنّ الإمامَ المهديّ لم يعُد سرّاً، فنحنُ نعلمُ الكثيرَ عنه مِن خلالِ الرواياتِ الكثيرةِ الواردةِ عن النبي ﷺ والأئمّةِ المعصومينَ ، فخصائصُه ومقاماتُه وكمالاتُه ومناقبُه، معلومةٌ لنا إلى حدٍّ ما.

القولُ الثالث: أنّهُ الاسمُ الأعظمُ الذي بهِ يُجابُ إذا دُعي، وبهِ يُتصرّفُ في التكوين، ولا شكّ أنّ الأئمّةَ المعصومينَ كانوا يمتلكونَه، وكذلكَ الزهراءُ كما وردَ في عدّةِ روايات.

رويَ عن الإمامِ الهادي : سمعتُه يقول: اسمُ اللهِ الأعظمِ ثلاثةٌ وسبعون حرفاً، كانَ عندَ آصف حرفٌ فتكلّمَ به فانخرقَت لهُ الأرضُ فيما بينَه وبينَ سبأ فتناولَ عرشَ بلقيس حتّى صيّرَه إلى سليمان، ثمَّ انبسطَت الأرضُ في أقلّ مِن طرفةِ عين، وعندَنا منهُ اثنانِ وسبعون حرفاً، وحرفٌ عندَ اللهِ مُستأثرٌ به في علمِ الغيب. (الكافي للكليني: ١ / ٢٣٠). وهذا القولُ اختارَه الشيخُ المسعودي في الأسرارِ الفاطميّة، ص٦١.

ولكن يُردُّ على هذا القولِ: أنّ الاسمَ الأعظمَ وإن كانَ سرّاً، إلّا أنّهُ غيرُ مُختصٍّ بالسيّدةِ الزهراء ، إذ يعلمُه جميعُ الأئمّةِ المعصومينَ ، بل يعلمُ الأنبياءُ بعضَ أجزائه، كما في الأحاديث، وظاهرُ الحديثِ أنّهُ سرٌّ مُختصٌّ بالزهراءِ .

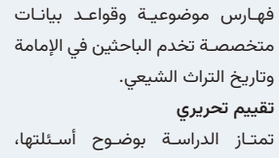
القولُ الرّابع: أنّهُ سيّدُنا المحسنُ السقطُ الشهيدُ ، الذي استشهدَ بينَ الحائطِ والباب، عندَما هجمَ القومُ على دارِ الزهراءِ في تلكَ الحادثةِ الأليمة. فالسرّ ينطبقُ بشكلٍ جليٍّ وواضحٍ على المُحسنِ السّقط، فالمرادُ مِن "وبنيها" هما الإمامانِ الحسنُ والحسينُ ، والمرادُ مِنَ السرِّ المُستودعِ فيها هوَ المحسنُ السّقط. مُضافاً إلى أنّنا نعرفُ الكثيرَ عن الإمامينِ الحسنينِ ولا نعرفُ شيئاً عن المُحسنِ الشهيد، فخصائصُه وكمالاتُه ومقاماتُه وفضائله، كلّها سرٌّ غائبٌ عنّا، فالمُحسنُ سرٌّ مِن أسرارِ الله. وهوَ سرٌّ مستودع، فإن فسّرنا المُستودعَ بالوديعة، فيكونُ انطباقُه على المُحسنِ جليّاً وواضِحاً، فقد كانَ وديعةً عندَ الزهراءِ ، ثمَّ قبضَه اللهُ وأرجعَه إليه.

وهذا القولُ ذكرَ العلّامةُ المرحومُ السيّدُ عادل العلوي أنّهُ مِن معاني الحديثِ، وذلكَ في تقديمِه لكتابِ الأسرارِ الفاطميّةِ للمسعودي، ص١٨.

ولعلّ هذا القولَ الأخيرَ هوَ الرّاجحُ مِن بينِ الأقوالِ. واللهُ العالم.

وهناكَ أقوالٌ أخرى أعرَضنا عنها، ويمكنُكم ملاحظتُها في المصدرينِ المُتقدّمين.

المصدر: مركز الرصد العقائدي



مقتطفات

الإسلام وإلغاء التمايز العنصري

إن على الدولة التي تسير على ضوء التعاليم الإسلامية أن تساوي بين جميع المواطنين في الحقوق والواجبات فلا تميز قوما على آخرين ولا صنفا على آخر لأن الإسلام قد حطم جميع الحواجز وألغى التمايز العنصري وساوى بين الأبيض والأسود يقول ﷺ : " إن سين بلال خير من شينهم " ويقول ﷺ : " سلمان منا أهل البيت " وفقد ﷺ امرأة سوداء كانت تقيم في المسجد فسأل عنها فقيل له إنها قد ماتت فتألم ﷺ وقال لأصحابه : أفلا كنتم آذنتموني به؟ وأمر ﷺ أن يدلوه على قبرها فانطلق وصلى على القبر .

إن إلغاء التمايز العنصري الذي رفع شعاره الإسلام يحقق التعايش السلمي بين جميع الشعوب ويحطم الفوارق والامتيازات التي لا تزال موجودة بأجلى مظاهرها في هذا العصر في أمريكا حيث يقابل الزنوج فيها بكل قسوة وجفاء ، ولو كانت عند حكومة أمريكا ذرة من العدل والإنصاف لأحسنت معاملة الزنوج وساوت بينهم وبين البيض فقد حرمتهم من أبسط الحقوق فإن العامل الزنجي يأخذ أجرا أقل من نصف أجرة العامل الأبيض ولا يدرس الزنوج في مدارس البيض ولا يسكنون معهم في منزل واحد ولا يسمح لهم بالنزول في فنادق البيض ومن طريف ما ينقل عن واقع ذلك المجتمع الذي بني على الامتيازات والفوارق إن صاحب مقبرة الكلاب في واشنطن أعلن عام (١٩٤٧) إنه لا يقبل جثث الكلاب التي تملكها الزنوج ويعلل ذلك مع علمه بأن الكلاب لا تجد غضاضة في أن تدفن كلها في جبانة واحدة إن زبائنه البيض قد ساءهم أن تعامل كلابهم هذه المعاملة النكرة بعد وفاتها فتساوي كلاب الزنوج .

إن هذه الفوارق هي التي تبعث الكراهية والحقد بين أفراد المجتمع وقد حطمها الإسلام وقضى عليها منذ بزوغ نوره وقد تقدم الكلام في بيان ذلك مشفوعا بالتفصيل عند عرض مظاهر المساواة التي منحها الإسلام للإنسان .

إلى هنا ينتهي بنا المطاف في " الحلقة الأولى " من هذا الكتاب سائلين من العلي القدير أن يعيد حكم الإسلام العادل ونظامه الرفيع لترتفع راية محمد ﷺ وتسود كلمة الله وتمتلئ الأرض قسطا وعدلا بعدما ملئت ظلما وجورا من جراء هذه السياسات الجائرة والمبادئ الرخيصة التي تنكرت لجميع الأهداف الأصيلة والمثل الرفيعة .

اللهم ، إن القوى الكافرة قد عاثت فسادا في بلاد المسلمين فجزأت بلادهم وفرقت كلمتهم وأشاعت التفسخ والتحلل بين أبنائهم حتى صار المسلمون بأقصى مكان من الذل والهوان وقد وعدت المؤمنين - ووعدك الحق - بأن يكون النصر للإسلام والفوز للإيمان فقلت في كتابك الكريم : " ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ".

الشيخ باقر شريف القرشي طاب ثراه - النظام السياسي في الاسلام

نافذة على المقالات

الإمامة في كتاب «الذريعة إلى تصانيف الشيعة»: دراسة إحصائية. تحليلية للمصادر ذات الصلة

التعريف بالمقالة

نُشرت الدراسة في مجلة الإمامة (السنة الأولى، العدد الأول، ١٤٤٥هـ، ص ١٧٣-١٩٦)، وأعدّها الباحثون عبد الحسين طالعي ورضا كريمي ورضا نظري صمصام، المنتمون إلى قسم علم المعلومات ومعرفة العلم بجامعة قم. وتتناول مصادر الإمامة في موسوعة «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» للشيخ آغا بزرك الطهراني، بالاعتماد على المسح الببليوغرافي والتحليل الإحصائي.

موضوع المقالة

تبحث المقالة في خريطة التأليف حول الإمامة كما تعكسها «الذريعة»، من خلال رصد المؤلفات وتحليل خصائصها اللغوية والمكانية والزمنية والمادية، والكشف عن طرائق التعريف بها ومصادر توثيقها. ولا تناقش أدلة الإمامة الكلامية مباشرة، بل تدرس تراثها المكتوب بوصفه مادة ببليوغرافية تساعد على تتبّع تطور المعرفة وتيسير الوصول إلى المصادر، وتجنّب تكرار الجهود العلمية. وتستمد أهميتها من جمع بيانات متفرقة في مجلدات الموسوعة ضمن صورة منظمة قابلة للمقارنة.

سؤال البحث وإشكاليته

تنطلق الدراسة من سؤال رئيس: ما خصائص مصادر الإمامة الواردة في «الذريعة»، وكيف تتوزع بحسب المتغيرات الببليوغرافية؟ وتتفرع عنه أسئلة تتناول لغات الكتب، وأماكن تأليفها وطباعتها وحفظها، وقرونها، وأساليبها النثرية والشعرية، وحالاتها بين المخطوط والمطبوع والمفقود. كما تبحث حجم التعريفات، والإحالات بين العناوين، ومذاهب المؤلفين، والتوضيحات الهامشية، ومصادر معلومات الطهراني وتوزعها الزمني، سعياً إلى تمهيد الأرضية لفهرسة متخصصة في الإمامة.

منهج الدراسة

اعتمد الباحثون المنهج المسحي الوصفي التقويمي، وشمل البحث ٧٢٤ عنواناً متصلاً بالإمامة، استُخرجت بالبحث الإلكتروني في أجزاء الموسوعة، استناداً إلى كلمات دالة في العناوين والتعريفات. ورُوجعت البيانات يدوياً، مع الاستعانة بالنسخ المطبوعة والمصورة عند الحاجة. واستُخدمت قائمة تحقق تضم اثني عشر عنصراً رئيساً وثمانية وسبعين عنصراً فرعياً، عُرضت على مختصين للتحقق من صلاحية محتواها، ثم حُللت البيانات ببرنامج إكسل وعُرضت في جداول ورسوم بيانية.

أبرز الأفكار والنتائج

تكشف الدراسة عن غلبة العربية على مؤلفات الإمامة؛ إذ بلغت، بحسب متن النتائج، ٥٤٧ عنواناً بنسبة ٧٥٫٥٪، تلتها الفارسية بـ١٤٦ عنواناً، ثم الأردية. وتصدّر العراق المواقع المحددة للتأليف أو الطباعة أو الحفظ بـ١٢١ عنواناً، تلته إيران بـ١١٧، ثم الهند بـ٣٢، بينما بقيت أماكن ٤٢٦ عنواناً مجهولة. وزمنياً، تقدم القرن الرابع عشر الهجري بـ١٦٩ عنواناً، ثم الثالث عشر بـ١١٥، والرابع بـ٨٣. وربط الباحثون هذا التفاوت بازدهار الطباعة والنشاط العلمي والمناظرات، مع احتمال تأثير فقدان المؤلفات القديمة في الصورة التاريخية.

وأظهرت النتائج هيمنة النثر بـ٦٨٤ عنواناً، مقابل أربعين عنواناً منظوماً، وتقدم المخطوطات بـ٣٠٧ عناوين، تلتها الكتب المصنفة مفقودة بـ٢٦٦ عنواناً. أما مصادر معلومات الطهراني، فتصدرتها المشاهدة المباشرة لـ٣٩٧ عنواناً، إلى جانب كتب الرجال والفهارس والطبقات وغيرها. وغلب الحجم المتوسط على التعريفات بـ٣٣٣ عنواناً، مقابل ٢٢٦ تعريفاً مختصراً و١٦٥ مفصلاً. وعُرّف بـ٧٠٥ كتب تحت عناوينها الأصلية، وأحيل تسعة عشر عنواناً إلى مواضع أخرى، واستند التعريف بـ٣١٣ عنواناً إلى مصادر إضافية. كما نسبت الدراسة ٧٠٣ عناوين إلى مؤلفين إمامية، وخمسة عشر إلى الزيدية والإسماعيلية، وستة إلى أهل السنة.

القيمة العلمية

تتمثل إضافة المقالة في توظيف أدوات علم المعلومات لدراسة التراث العقدي، وتحويل بياناته المتفرقة إلى خريطة كمية منظمة. وتفيد نتائجها في تحديد مسارات الوصول إلى المصادر، واستكشاف أولويات التحقيق، وفهم تنوع بيئات التأليف ولغاته. كما تضيء منهج الطهراني في التوثيق، وتبرز أهمية المشاهدة والإحالات المرجعية، وتمهّد لبناء فهارس موضوعية وقواعد بيانات متخصصة تخدم الباحثين في الإمامة وتاريخ التراث الشيعي.

تقييم تحريري

تمتاز الدراسة بوضوح أسئلتها، وتنظيم متغيراتها، والجمع بين البحث الإلكتروني والتدقيق اليدوي. غير أن بعض بياناتها تحتاج إلى مراجعة؛ فعدد الكتب العربية يرد في الملخص ٥٤٥ عنواناً، وفي النتائج ٥٤٧، مع اختلاف بعض مجاميع جداول المصادر. وكان الفصل بين أماكن التأليف والطباعة والحفظ، وتوضيح معايير الإدراج والاستبعاد، سيزيد دقة الاستنتاجات. كما ينبغي قراءة النتائج باعتبارها وصفاً لما أثبتته «الذريعة»، لا إحصاءً شاملاً لكل ما أُلف في الإمامة، خاصة مع كثرة البيانات المكانية المجهولة واحتمال غياب مضامين ذات صلة عن أوصاف بعض الكتب. وتبقى المقالة مفيدة لباحثي الكلام والفهرسة وتحقيق المخطوطات.

إعداد: الآفاق

مصطلح الأسبوع

أصحاب الإجماع

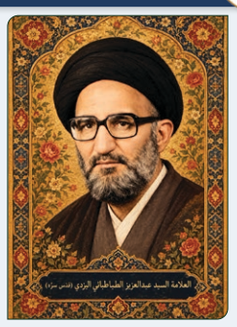
أصحاب الإجماع مصطلحٌ رجاليٌّ يُطلق على جماعةٍ من رواة الإمامية الذين احتلّوا منزلةً رفيعةً في الوثاقة والاعتماد. ووفق الرأي المشهور، يبلغ عددهم ثمانية عشر راوياً من أصحاب الأئمة الباقر والصادق والكاظم والرضا ، وقد عُرفوا بمكانتهم العلمية وفقاهتهم، ولذلك عدّهم علماء الإمامية من أبرز رواة الحديث.

ويرجع أصل هذه التسمية إلى ما أورده الشيخ الكشّي في كتابه رجال الكشّي بقوله: «أجمعت العصابة على تصحيح ما يصحّ عن هؤلاء وتصديقهم لما يقولون»، وهو النص الذي أصبح أساساً لهذا المصطلح، وإن اختلف العلماء في تحديد مدى دلالته وآثاره في الحكم على الأسانيد.

ويُعدّ البحث في أصحاب الإجماع من أهم مباحث علم الرجال؛ إذ دار خلاف بين الرجاليين حول حدود هذا الإجماع: فذهب فريق إلى أنّه يقتصر على توثيق هؤلاء الرواة أنفسهم، بينما رأى آخرون أنّه يشمل تصحيح الروايات المرتبطة بهم بشروطٍ معيّنة. ولهذا حظي الموضوع بعنايةٍ واسعة، وأُلّفت فيه دراسات ورسائل مستقلّة، لما له من أثرٍ مباشر في تقويم الأحاديث واستنباط الأحكام الشرعية.

حزاس التراث

السيد عبد العزيز الطباطبائي اليزدي... ذاكرة التراث الشيعي ومحقق كنوزه



حين كان كثير من المخطوطات والآثار العلمية حبيس الرفوف، كان السيد عبد العزيز الطباطبائي اليزدي يجوب المكتبات العامة والخاصة، باحثاً عن النصوص المنسية والنسخ النادرة. فلم يكن همه جمع المعلومات فحسب، بل إعادة الحياة إلى التراث الشيعي، والكشف عن كنوزه العلمية، وربط الباحثين بمصادره الأصيلة. وهكذا تحوّل إلى واحد من أبرز أعلام التحقيق والببليوغرافيا في العصر الحديث، حتى غدا اسمه مرادفاً للدقة العلمية وسعة الاطلاع في خدمة التراث.

مسيرة علمية في خدمة المخطوطات

وُلد السيد عبد العزيز الطباطبائي اليزدي سنة ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م في مدينة يزد، ونشأ في أسرة علمية عريقة، ثم انتقل إلى قم، حيث تتلمذ على كبار أعلام الحوزة العلمية، وفي مقدمتهم السيد حسين البروجردي والإمام الخميني والعلامة الطباطبائي. غير أن شغفه الأكبر اتجه إلى عالم المخطوطات والكتب النادرة، فكرّس حياته للبحث في التراث، حتى أصبح مرجعاً علمياً يقصده المحققون وطلاب الدراسات الإسلامية. وقد امتاز بذاكرة استثنائية وإحاطة واسعة بالمكتبات الإسلامية وفهارسها، حتى عُرف بين الباحثين بأنه "المكتبة المتحركة"، لما كان يمتلكه من معرفة دقيقة بالمصادر والنسخ الخطية وأماكن وجودها.

من التحقيق إلى إحياء التراث

ارتبط اسم السيد الطباطبائي بتحقيق عشرات النصوص، والتعريف بمئات المخطوطات، والكشف عن مصادر مجهولة أسهمت في تصحيح كثير من الدراسات المتعلقة بتاريخ الشيعة وتراثهم. كما كان من أبرز الخبراء في الببليوغرافيا الشيعية، فقدم للباحثين معلومات دقيقة عن المؤلفات والمصنفات وأصحابها، وأسهم في إحياء كتب كانت مجهولة أو مفقودة في الأوساط العلمية. ولم يقتصر دوره على التحقيق، بل كان مستشاراً علمياً لكثير من المؤسسات والباحثين، وأسهم في إنجاز مشاريع كبرى لخدمة التراث، مستفيداً من خبرته الواسعة في قراءة المخطوطات ومقارنة النسخ والتعريف بالمصادر.

حارس الذاكرة العلمية للشيعة

تميّز السيد الطباطبائي بعناية خاصة بتراث الإمامية، فواصل المسيرة التي بدأها كبار رواد الببليوغرافيا والتحقيق، أمثال الشيخ آغا بزرگ الطهراني والعلامة الأميني. وقد أولى اهتماماً بالغاً بتتبع آثار علماء الشيعة في مختلف العصور، والكشف عن مؤلفاتهم، وتصحيح المعلومات المتعلقة بها، مما جعله حلقة وصل بين التراث المخطوط والبحث الأكاديمي المعاصر.وكان يؤمن بأن خدمة التراث لا تتحقق بجمع الكتب فقط، بل بفهمها وتحقيقها والتعريف بها، لتبقى حية في الوعي العلمي، وقادرة على الإسهام في بناء المعرفة الإسلامية.

قيمة التجربة في العصر الحاضر

تكشف تجربة السيد عبد العزيز الطباطبائي اليزدي أن الحفاظ على الهوية العلمية للأمة يبدأ بحفظ مصادرها والتعريف بها. ففي زمن تتسارع فيه وتيرة النشر، تبقى الحاجة ماسة إلى الباحثين القادرين على التمييز بين الأصيل والدخيل، وإحياء النصوص وفق منهج علمي رصين. ولذلك لا تزال آثاره العلمية، وفهارسه، وإرشاداته للمحققين تمثل مرجعاً مهماً لكل من يعمل في ميدان تحقيق التراث الإسلامي.

يبقى السيد عبد العزيز الطباطبائي اليزدي نموذجاً للمحقق الموسوعي الذي جعل من خدمة المخطوطات والتعريف بتراث أهل البيت ﷺ رسالة عمر، وأسهم في حفظ جانب ثمين من الذاكرة العلمية للمدرسة الإمامية، وربطه بالأجيال الجديدة من الباحثين.

قبَسٌ مِن نور



حين يرتقي الإنسان... لا ينسى جذوره



د. أحمد باقر الطويل

بينما كنت أقرأ القرآن الكريم، استوقفتني الآيات التي دار فيها الحوار بين نبي الله موسى ﷺ وفرعون، ولا سيما قول موسى ردًّا على تذكير فرعون له بأنه تربّى في قصره وعاش سنوات في كنفه: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، [الشعراء: ٢٢].

تأملت هذا الجواب، فرأيت فيه معنى عميقًا؛فموسى ﷺ لم ينكر ما ذكره فرعون، لكنه رفض أن يتحول ذلك إلى منّة تُنسي حقيقة الظلم الذي كان يمارسه على قومه. فالاعتراف بالفضل لا يعني التنازل عن المبادئ، ورفض الاستعلاء لا يعني إنكار المعروف.

أعادت إليّ هذه الآية ذكريات سنوات دراستي في الولايات المتحدة الأمريكية. فقد غادرت المملكة في ٢٧ أغسطس ١٩٨٤، وبدأت دراستي في جامعة تولسا بولاية أوكلاهوما في ٤ سبتمبر من العام نفسه، وتخرجت في ١٨ ديسمبر ١٩٨٧. وخلال تلك التجربة عايشت مواقف جعلتني أتساءل عن العلاقة التي يتوهمها بعض الناس بين التقدم الغربي والتخلي عن الهوية الدينية والثقافية.

أتذكر أحد الطلبة الذي كان يرفض ارتداء زوجته الحجاب، ولا يرى ضرورة للصلاة والصيام، مستندًا إلى أن الغربيين متقدمون، وأن كثيرًا منهم لا يلتزمون بهذه الشعائر. وكنت أتساءل: ما علاقة التقدم العلمي والتقني بالتخلي عن الصلاة والصيام؟ وهل أصبح بلوغ مراتب الحضارة مشروطًا بالتنازل عن الدين؟

وفي المقابل، عرفت من كان محافظًا على هويته وقيمه خلال دراسته في الخارج، لكنه بعد عودته بدأ ينظر إلى مجتمعه نظرة استعلاء، وكأن ما اكتسبه من علم وثقافة يجعله في مرتبة أعلى من أهله وبيئته.

ولا تزال هذه الظاهرة تتجدد بصور مختلفة؛ فنرى نقاشات فكرية حول نظريات ومفاهيم معاصرة، مثل نظرية داروين والهرمنيوطيقا وحقيقة الوحي. ولا أرى في السؤال والبحث ومناقشة الأفكار عيبًا؛ فالعلم لا يتقدم بإغلاق أبواب الحوار. لكن موضع الإشكال حين يتحول الاختلاف إلى احتقار، والتساؤل إلى وسيلة للتنقص من الدين والمجتمع، وكأن إظهار التفوق الفكري لا يكتمل إلا بالتنكر للجذور.

إن الانفتاح على الثقافات الأخرى أمر محمود، والاستفادة من تجارب المجتمعات المتقدمة ضرورة، لكن ذلك لا يعني أن نتبنى كل ما لديها، أو نتخلى عن كل ما نشأنا عليه. فليس كل موروث صحيحًا لمجرد أنه موروث، وليس كل وافد صحيحًا لمجرد أنه وافد. والإنسان الواعي هو من يميز بين النافع وغيره، ويملك شجاعة المراجعة دون أن يفقد احترامه لهويته.

والأهم من ذلك ألا ينسى الإنسان أصحاب الفضل عليه. فخلف كثير من الشهادات العلمية آباء بذلوا، وأمهات صبرن، وأسر تحملت أعباء الدراسة والغربة، وربما حرمت نفسها لتمنح أبناءها فرصة أفضل. فهل تكون ثمرة تلك التضحيات أن يعود الابن متعاليًا على أهله، أو مستحيًا من بيئته، أو متبرئًا من هويته؟

إن العلم الحقيقي ينبغي أن يزيد صاحبه تواضعًا، لا غرورًا. وقد ورد عن الإمام الرضا ﷺ: "أن تعطي الناس من نفسك ما تحب أن يعطوك مثله"، ورُوي عن أمير المؤمنين علي ﷺ: "لا حسب كالتواضع". وهذان المعنيان يذكراننا بأن قيمة الإنسان لا تقاس بشهاداته وحدها، بل بأخلاقه ووفائه وحسن تعامله مع الآخرين.

لسنا نريد لأبنائنا أن يعودوا من رحلات العلم كما ذهبوا؛ بل نريدهم أكثر علمًا، وأوسع أفقًا، وأقدر على البناء والتطوير. نريدهم أن ينقلوا إلى مجتمعاتهم ما تعلموه، وأن يختلفوا معها حين يرون ما يستحق المراجعة، لكن دون أن يحتقروها أو يتنكروا لمن كانوا سندًا لهم.

فليس أعظم الخاسرين من لم يحصل على شهادة، بل قد يكون أعظمهم من حصل على أعلى الشهادات، ثم عاد إلى أهله غريبًا، وإلى جذوره منكرًا، وإلى أصحاب الفضل عليه متعاليًا.

ارتقِ في علمك، واتسع في أفقك، ولكن لا تنسَ جذورك؛ فالشجرة التي تتنكر لجذورها لا تستطيع أن تظل واقفة طويلًا.